خلواً عن أية حجة لو جاءَ بها، أم فيها حجة ضئيلة أمام القرآن، هؤلاء الجهنميون يتطلبون في تعنت وتزمت هذه السبعة من أبواب الجحيم، والقرآن فاتح للعالمين أبواب الجنة والنعيم!

وفي الحق أن هؤلاء الحماقى الطغاة ما تطلّبوا هذه السبعة وأضرابها طلباً للحجة ووصولاً إلى المحجة، وإنما إفحاماً على الرسول فيما تعنتوا حيث يقول قادتهم «لقد استفحم أمر محمد وعظم خطبه فتعالوا نبدأ بتقريعه وتبكيته وتوبيخه والاحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره فلعله ينزع عما هو فيه من غيِّه وباطله وتمرده وطغيانه، فإن انتهى وإلَّا عاملناه بالسيف الباتر»[1].

= وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وإن تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رؤيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمعون النابع من الجن الرئي فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطلب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال رسول الله ﷺ . ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا فيئكم ولا الملك عليكم ولكن بعثني الله إليكم رسولاً وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم -: أقول: ولما وصل أمره معه إلى هنا اقترحوا عليه مطاليب لهم مادية تحسبوها معجزات، تذكر الآيات أمهاتها السبع كالسبع أبواب الجحيم.

(١) نور الثقلين ٣: ٢٢١ ح ٤٤٦ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام قال: قلت لأبي علي بن محمد عليه السلام هل كان رسول الله ﷺ يناظر اليهود والمشركين إذا عاتبوه ويحاجهم؟ قال: مراراً كثيرة - إن رسول الله ﷺ كان قاعداً ذات يوم بمكة بفضاء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي وأبو البختري بن هشام وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي وعبد الله بن أمية المخزومي وكان معهم جمع ممن يليهم كثير ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله أمره ونهيه فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحم أمر محمد. . . قال أبو جهل: فمن الذي يلي كلامه ومجادلته؟ قال عبد الله بن أمية المخزومي، أنا إلى ذلك، أما ترضاني له قرناً حسيباً ومجادلاً كفياً؟ قال أبو جهل: بلى - فاتوه بأجمعهم فابتدأ عبد الله=

١ - ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾:

باب أولى من سبعهم «تفجير ينبوع لهم من الأرض». . . و«لن» تصريحة قاطعة منهم أن إيمانهم للرسول مستحيل على ضوء القرآن العظيم وهو الشهيد الكافي إلهياً على رسالته، فاستحالة الإيمان على هذه الأضواء والبصائر الكافية لمتحري الحق تحيله في تحقيق متطلباتهم لو أمكنت وصلحت أكثر من بصائر القرآن! فلو أن الشمس لا تضيء لهم عن ظلماتهم، فهل أن القمر وأخفى منه نوراً أو ما لا نور له، هل أن هذه تضيء لهم؟

إنهم في قولة ﴿لَن﴾ أحالوا إيمانهم له على أية حال، فلو لم يكن في متطلباتهم محال، أم استجيبوا في التي تمكن على أية حال، ما كانوا ليؤمنوا كما بدأوا به المقال ﴿وَقَالُواْ لَن. . .﴾!

إذاً فإجابتهم في هذه السبع غلطة رسالية فيما أمكنت، إغراءً بجهلهم في غير الخارقة المعجزة، وإبقاءً على كفرهم في إجابة الخارقة حيث هي أدنى من معجزة القرآن التي أحالوا إيمانهم على ضوئه. . . ومن ثم يبقى

= ابن أمية المخزومي فقال: يا محمد! لقد ادعيت دعوى عظيمة وقلت مقالاً هائلاً! زعمت أنك رسول رب العالمين وما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشراً مثلنا يأكل كما نأكل ويمشي في الأسواق كما نمشي، فهذا ملك الروم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلا كثير مال عظيم حال له قصور ودور وفساطيط وخيام وعبيد وخدام، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده، ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا لكان إنما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا، ما أنت يا محمد إلا مسحور ولست بنبي.

فقال رسول الله ﷺ: هل بقي من كلامك شيء؟ قال: بلى - لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجل من فيما بيننا مالاً وأحسنه حالاً، فهلا نزل هذا القرآن الذي تزعم أن الله أنزله عليك وابتعثك به رسولاً على رجل من القريتين عظيم: أما الوليد بن المغيرة بمكة وأما عروة بن مسعود الثقفي بالطائف؟ فقال رسول الله ﷺ: هل بقي من كلامك شيء يا عبد الله؟ فقال: بلى: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا. . .

المستحيل رادعاً عن إيمانهم حيث الإجابة فيه مستحيلة، حتى ولو استجيبوا في ممكناته خارقة وغير خارقة.

إذاً فهذه السبع في مجموعاتها هرطقات هراءٌ وربنا في رسالته منها براءٌ! حيث تركوا وتغافلوا عن آماد بعيدة من معجزة القرآن الخالدة، وأخلدوا إلى أهوائهم المتطفلة الباردة الماردة، طلباً لآجن ماجن[١] بعدما أضاء عليهم معجز ماكن.

ترى وما هو المعني من تفجر الأرض ينبوعاً؟ أينبوعاً بمكة هذه، فإنها ذات أحجار وعرة وجبال، تكسح أرضها وتحفرها وتجري منها العيون فإننا إلى ذلك محتاجون»؟

فإنك سألت هذا وأنت جاهل بدلائل الله، لو فعلت هذا كنت من أجل هذا نبياً؟ لا! - أرأيت الطائف التي لك فيها بساتين، أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها وذللتها وكسحتها وأجريت فيها عيوناً استنبطتها؟

بلى! وهل لك فيها نظراء؟ بلى!... فصرت بذلك أنت وهم أنبياء؟

لا!... فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد ﷺ لو فعلت على نبوته، فما هو إلّا كقولك: لن نؤمن لك حتى تقوم وتمشي على الأرض أو حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس![٢].

---

(١) فإنك اقترحت على محمد رسول الله أشياء: منها ما لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوته ورسول الله يرتفع من أن يغتنم جهل الجاهلين ويحتج عليهم بما لا حجة فيه. ومنها ما لو جاءك به لكان معه هلاكك. وإنما يوفى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الإيمان بها لا ليهلكوا بها، فإنما اقترحت هلاكك ورب العالمين أرحم بعباده وأعلم بمصالحهم من أن يهلكهم كما يقترحون، ومنها المحال الذي لا يصح ولا يجوز كونه ورسول رب العالمين يعرفك ذلك ويقطع معاذيرك ويضيق عليك سبيل مخالفته ويلجئك بحجج الله إلى تصديقه حتى لا يكون لك عنه محيد ولا محيص، ومنها ما قد اعترفت على نفسك أنك فيه معاند متمرد لا تقبل حجة ولا تصغي إلى برهان ومن كان كذلك فدواؤه عذاب النار النازل من سمائه أو في حميمه أو بسيوف أوليائه.

(٢) من حجج الرسول ﷺ في هذه المناظرة الطويلة البالغة.

فتفجير الأرض ينبوعاً، إظهاراً لما خفي تحته من ماءٍ لا يحتاج إلى معجزة رسالية، وإنما عمارة أرضية، أم هندسة تحت الأرضية، أفكل معمار أو مهندس - إذاً - هو من الأنبياء؟.

وإذا يعنى منه تفجراً بتفجّر الإرادة الخارقة، دون أية وسائل ظاهرية، فترى أن تفجر القلوب الميتة بمياه المعرفة القرآنية أرقى خارقة وأنبل، أم تفجر الأرض بهذه المياه؟ و«لن» البادئة في هذه الاقتراحات تحيل الإيمان ولو فجرت الأرض كما تطلبون، حيث أحلتم الإيمان بالقرآن لنبي القرآن وهو أهم المعجزات وأتمها!.

إن التفجر الأول من فعلي ولا حجة فيه، والثاني من فعل ربي ولا تؤمنون به حيث «لن» فيه، أحرى منها في حجة القرآن ألّا تصدِّقوها!

٢ - ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾:

فإن كان كالأول فكالأول، أو كالثاني فكالثاني!... «أو ليس لأصحابك ولك جنان من نخيل وعنب بالطائف فتأكلون وتطعمون منها وتفجرون الأنهار خلالها تفجيراً؟ أفصرتم أنبياء بهذا؟ لا! فما بال اقتراحكم على رسول الله ﷺ أشياء لو كانت كما تقترحون لما دلت على صدقه، بل لو تعاطاها لدل تعاطيها على كذبه لأنه يحتج بما لا حجة فيه ويختدع الضعفاء عن عقولهم وأديانهم، ورسول رب العالمين يجل ويرتفع عن هذا»![1].

٣ - ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا...﴾:

في قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾[2] (فإن في

(١) من حججه ﷺ في نفس المناظرة.
(٢) سورة الطور، الآية: ٤٤.

سقوط السماء عليكم هلاككم وموتكم، فإنما تريد بهذا من رسول الله أن تهلك ورسول رب العالمين أرحم من ذلك، لا يهلكك ولكنه يقيم عليك حجج الله، وليس حجج الله لنبيه وحده على حسب اقتراح عباده لأن العباد جهال بما يجوز من الصلاح وما لا يجوز منه ومن الفساد، وقد يختلف اقتراحهم ويتضاد حتى يستحيل وقوعه والله لا يجيء تدبيره على ما يلزمه بالمحال..

وهل رأيت يا عبد الله طبيباً كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحهم وإنما يفعل به ما يعلم صلاحه فيه، أحبه العليل أو كرهه، فأنتم المرضى والله طبيبكم فإن أنفذتم لدوائه شفاكم وإن تمردتم أسقمكم -.

وبعد فمتى رأيت يا عبد الله مدعي حق من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بيّنه على دعواه على حسب اقتراح المدعى عليه؟ إذاً ما كانت تثبت لأحد على أحد دعوى ولا حق، ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا بين صادق وكاذب فرق.

٤ - ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾:

يقابلوننا ونعاينهم! فإن هذا من المحال الذي لا خفاء به، لأن ربنا ﷻ ليس كالمخلوقين يجيء ويذهب ويتحرك ويقابل حتى يؤتى به، فقد سألتم بهذا المحال الذي دعوتم إليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم شيئاً ولا عن أحد - يا عبد الله! أو ليس لك ضياع وجنان بالطائف وعقار بمكة وقوّام عليها؟ بلى! أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك وبين معامليك؟

بسفراء! أرأيت لو قال معاملوك وأكرتك وخَدَمك لسفرائك لا نصدقكم في هذه السفارة إلّا أن تأتوا بعبد الله بن أبي أمية نشاهده فنسمع منه ما تقولون عنه شفاهاً كنت تسوِّغهم هذا؟ أو كان يجوز لهم عند ذلك؟

لا! - فما الذي يجب على سفرائك؟ أليس أن يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلهم على صدقهم يجب عليهم أن يصدقهم؟ بلى! - أرأيت سفيرك لو أنه لمّا سمع منهم عاد إليك وقال: قم معي فإنهم اقترحوا عليّ مجيئك معي أيكون لك أن تقول له: إنما أنت رسول مبشر وآمر؟ بلى! فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوّغ لأكرتك ومعامليك أن يقترحوه على رسولك إليهم، وكيف أردت من رسول رب العالمين أن يستندم إلى ربه بأن يأمر عليه وينهى وأنت لا تسوغ مثل هذا على رسولك إلى أكرتك وقوامك؟ هذه حجة قاطعة لإبطال كل ما ذكرته في كل ما اقترحته يا عبد الله!

٥ - ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾:

وهو الذهب «أما بلغك أن لعظيم مصر بيوتاً؟ بلى! أفصار بذلك نبياً؟ لا! فكذلك لا توجب بمحمد ﷺ لو كانت له نبوة، ومحمد لا يغتنم جهلك بحجج الله - أم تعني تكوّن بيت من زخرف دون أسباب ظاهرية؟ فالرسول لا يبيت في بيت من زخرف! ولو كان له لم تكونوا لتؤمنوا إذ لم تؤمنوا ﴿وَلَن﴾ بآية القرآن وهي أكبر الآيات وأتمها، ثم لا تقف اقتراحاتكم لحدٍّ!

٦ - ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾:

٧ - ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ. . .﴾:

يا عبد الله! الصعود إلى السماء أصعب من النزول منها، وإذا اعترفت على نفسك أنك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم النزول ثم قلت ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ من بعد ذلك، ثم لا أدري أؤمن بك أو لا أؤمن، فإنك يا عبد الله! مقر أنك تعاند حجج الله عليك، فلا دواء لك إلّا تأديبه على يد أوليائه البشر أو ملائكته الزبانية، وقد أنزل الله عليّ حكمة جامعة لبطلان كل ما اقترحه:

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾: ما أبعد ربي عن أن يفعل الأشياء على ما يقترحه الجهال بما يجوز وبما لا يجوز، و﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ لا يلزمني إلّا إقامة حجة الله التي أعطاني، فليس لي أن آمر على ربي ولا أنهى ولا أشير فأكون كالرسول الذي بعثه ملك إلى قوم مخالفيه فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما اقترحوه عليه(١).

وثم إذا رقى في السماء بمحاولة بشرية أو معجزة إلهية فهل أن الله في السماء حتى تنزل منه كتاباً يقرؤونه؟ ومجرد الرقي إليها دون وسائل آية إلهية لا تفسح مجالاً لتنزل كتاب يقرؤونه! فهل من خط الله فيصدقونه، وكيف هم عارفون خطه؟ وهل هو كخط البشر فما هي ميزته التي تجعله خط الله، وإن لا فكيف يقرؤونه، وهنالك خطه التكويني «رقيه في السماء» لو رقى يقرأ وليسوا بمصدقيه، وهناك خطة التدويني «القرآن» وفيه الكفاية معجزة كاملة تقرأ ولا يصدقونه، ومن ثم لو نزل بخط من السماء يقرؤونه فكيف يعرفون أنه نزل من السماء ولم يأخذه معه في رقيه؟

الرسول هنا يؤمر أن يغلق الأبواب السبعة من جحيم المعارضات بكلمة مُخْتصرة محتصرة تحوي كل هذه التفاصيل ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾؟

﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ أن يغريكم بجهلكم مواضع الحجة فيحتج بما لا حجة فيه، أم فيه حجة الإهلاك، أم هو من المحال، أم جائز فيه حجة أدنى من حجة القرآن، واستحالة الإيمان فيها أقوى منها في القرآن، ثم لا تقف هذه المقترحات لحدٍّ! ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾؟ والخارقة ليست من صنع الرسول، إنما هي من أمر الله وفق تقديره وحكمته، ولا أن طلبها من شأن

(١) هذه الحجج كلها ننقلها عن كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أبي محمد الحسن العسكري عن أبيه علي بن محمد عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الرسول فإن الله يعلم بماذا يرسل رسوله حتى تصدَّق رسالته، فشأن الرسالة وأدبها يمنعانه أن يفعل ما يقترحون، أو يسأل ربه بما يقترحون.

إنني بشر ولست إلهاً، رسول من الله ولست إلهاً، وسبحان ربي أن يتخلى في إرساله عن ألوهيته، وسبحانه أن يتابع اقتراحات عباده أو رسوله فيها سبحانه سبحانه هل كنت إلا بشراً رسولاً؟

وأنتم تطلبون مني أن أفعل هذه الخارقات أم غيرها من محالات أم سِواها، وي كأنني إله أقدر على ما تطلبون، وهم لم يطلبوا إلّا منه، لا أن يطالب ربه[1] أو أنني فوق الإله أتحكَّم عليه ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ ويكأن الله وملائكته تحت إمرتي، إن لو أمكن إتيانهم فأنا الآتي بهم دون استدعاء! فلا أن بشريتي تقتضي هذه أو تلك ولا رسالتي، حيث الرسول مؤَمَّر وليس آمراً، رسول فليس مرسلاً لمن أرسله: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ...﴾! ولا تقتضي الرسالة إلا حمل آيتين من آيات الله: آية الوحي، والآية التي تثبت الوحي، آية ظاهرة تدل على آية غير ظاهرة، ثم لا يرسل بآية أخرى إلّا إذا اقتضت الضرورة الرسالية، فضلاً أن يأتي هو بآية أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً! ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾؟ لا شأن لبشر إلّا كسائر البشر، ولا لرسول إلّا حمل ما حمّل من رسالة، لا تقلُّد القدرة الغيبية المطلقة ذاتياً ولا رسالياً، ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ من ربّاني عبودية ورسالة، من أن أكون له شريكاً، أو أن أكون له رباً فأتحكم عليه، وعليه إجابتي! ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾؟ جواباً جامعاً يستأصل متطلباتهم الخاوية كلها!.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾:

(١) حيث قالوا: حتى تفجر... فتفجر خلالها... ترقى في السماء.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾[١] ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[٢] ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾[٣].

فلأنهم لم يدركوا قيمة البشر وأنه في أحسن تقويم، فاستكثروا على بشر أن يكون رسولاً إلى بشر! وهذه سنة الله الدائبة التي لا تتبدل: ضرورة المجانسة بين الرسول والمرسل إليهم، إتماماً للحجة وقطعاً للمعاذير، فهي رحمة ومِنَّة إلهية أن بعث الله إلى البشر بشراً كما إلى الجن جناً أم من ذا؟ ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾[٤]. فإنما رسول الإنسان إنسان ورسول الجان جان كما رسول الملك ملك.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾:

ومع غض النظر عن ضرورة المجانسة فالملك الرسول إلى بشر يجب أن يباشر البشر، والملك على كونه ملكاً لا يُرى فالواجب إذاً أن يظهر بمظهر البشر، فأنتم ترونه بشراً وليس ببشر! فماذا أفادكم هذا المظهر إلّا ضرراً في عدم المجانسة: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[٥] فعادت النتيجة إلى ضرورة المجانسة رؤية وإتماماً للحجة.

وترى هذه ضرورة، فلماذا الجن يرسل له بشر، أليس محمد ﷺ رسولاً إلى الجن والبشر وسواهما من العاملين؟

إن رسالة الرسول إلى غير بشر ثانوية وبواسطة غير بشر، فكما أن

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٣٤.
(٢) سورة القمر، الآية: ٢٤.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٤٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٣٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩.

الرسول إلى الرسول البشر ملك لا بشر، كذلك الرسول إلى رسول الجن بشر، كما الآيات في الجن والحاقة تحقق هذه الرسالة: إن رسل الجن مرسلون من جانب الرسول محمد ﷺ، وإن لم يكونوا رسل الوحي حيث انقطع به الوحي، ولكنهم قبل الرسالة المحمدية كأن يوحى إليهم على هامش الوحي إلى بشر!.

إن رسالة ملك إلى جن قد تصح وتصلح لولا مانع عدم المجانسة[١] أم أن الملك يرسل إلى رسول الجن كما إلى رسول الإنس، اللهم إلا في الرسالة الإسلامية!.

وقد تلمح الآية أن الحياة المطمئنة الأرضية تتطلب رسالة سماوية، فـ ﴿لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ اطمئناناً في مشيهم بقاء عليها لا نزولاً مؤقتاً لإبلاغ أمركما في رسل الوحي أم من ذا؟ واطمئناناً على الحياة الأرضية، فهناك ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لا من نفس الأرض ﴿مَلَكًا رَّسُولًا﴾ ولكنما الماشون المطمئنون في الأرض ليسوا ملائكة، إنما هم إنس وجان، فليبعث إليهم بشرٌ رسولاً، مهما يتلقى هو وحيه من ملك رسول.

هنا لك فرق بين الرسول إلى الرسل، وإلى سائر المكلفين، فالمجانسة لازمة في الرسالة الثانية دون الأولى، ولتتم حجة الرسالة ويعيش المرسل إليهم رسولهم لكي يستطيعوا التلقي عنه دون وحي، بل برؤية وسماع[٢].

---

(١) فالرسول الأول إنما هو حامل رسالة كالبريد دون أي مزيد من إنذار وتبشير فلا ضرورة ولا رجاحة في مجانسته للمرسل إليهم الرسل، ولكن الرسول الثاني بشير ونذير وحجة في رسالته بتطبيقه ما أرسل به ولا تطبيق على الرسول الأول إلا في الواجبات الأولية لاختلاف الجنس. فالملائكة لهم عقل بلا شهوة، والإنس والجن يجمعانهما فالتكليف إذاً غير التكليف إلا ما يعم عامة العالمين.

(٢) ولكن «رسلٌ مِنْكُمْ» تصريحة أو تلميحة أن المجانسة بينهما رحمة ومنة إلهية، وما يرويه =